أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية

في قصار المفصل

إعداد

د . إبراهيم الأغبش الأمين عبد الدافع

الأستاذ المشارك في جامعة المجمعة، كلية التربية بالزلفي

(المملكة العربية السعودية) -جامعة الجزيرة- كلية التربية

الحصاحيصا-بالسودان

د: ندى الطاهر إبراهيم الإمام

الأستاذ المساعد : جامعة المجمعة – كلية التربية بالمجمعة

الرياض (المملكة العربية السعودية)

جامعة سنار – كلية التربية سنجة

قسم اللغة العربية (السودان)

nada123400@hotmail.com

ملخص البحث

أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار المفصل

يأتي هذا البحث لدراسة أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار سور المفصل لما لهذا الأسلوب من أهمية بالغة في الخطاب اللغوي، ولأنه يحقق جملة من الأغراض المتصلة بالمخاطب والخطاب، منها التواصل اللغوي الجيد، ولما له من أهمية في الحوار وجذب المخاطبين والتنبيه والتنشيط واتساع دلالة الخطاب. ويهدف هذا البحث لإظهار قيمة أسلوب الاستفهام في النص القرآني والكشف عن أغراضه والغوص في سياقه، كما أرادت الباحثة أن تبرز هذا الاسلوب في أقصر سور القرآن الكريم لافتةً لإعجازه البلاغي داعيةً لتأمل فيه، متذوقةً لجمال تراكيبه، وباحثةً في أغراضه البلاغية. في أقصر سور القران الكريم وأوجزها خطاباً، واقصدها بنية لغوية، وقد اتخذت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي. وقد توصل البحث لنتائج منها: أن أدوات الاستفهام دخلت على الجملة الفعلية بفعْليها الماضي والمضارع، إلا أن دخولها على الماضي أكثر مما يفيد التحقيق، وقد استخدمت ثلاث أدوات فقط من أدوات الاستفهام وهي الهمزة التي وردت في أثني عشرة موضعاً، لما لها من خصائص أسلوبية تميزت بها دون غيرها، و(ما) في سبعة مواضع، و(كيف) في موضعٍ واحدٍ. وقد خرجت كل أغراض الاستفهام من معانيها الحقيقة إلى معانٍ ودلالات بلاغية كثيرة في سياقٍ متحدٍ أو مختلفٍ، وأكثر الأغراض البلاغية ورداً هو. ويوصى الباحث بدراسة أسلوب الاستفهام وأهميته في الحجاج والإقناع، ودراسة الخصائص الأسلوبية لقصار سور المفصل.

الكلمات المفتاحية:

الاستفهام– صور المفصل– الخطاب اللغوي– القرآن الكريم.

Research Summary

Questioning style and rhetorical connotations in the joint short

This research comes to study the questioning method and its rhetorical connotations in the short wall of the joint because this method is very important in the linguistic discourse, and because it achieves a number of purposes related to the addressee and speech, including good linguistic communication, and because of its importance in the dialogue and attract the addressees and alert and activation and widening the significance of the speech. This research aims to show the value of the questioning method in the Quranic text and reveal its purposes and diving in the context, as the researcher wanted to highlight this technique in the shortest wall of the Koran, a sign of the rhetoric miracle calling for reflection, tasting the beauty of its compositions, and researcher in its rhetorical purposes. In the shortest wall of the Koran and summarized a speech, and I mean linguistic structure, The researcher has taken the descriptive analytical approach. The research concluded that the questionnaires were entered into the actual sentence by their past and present tense, but that they entered the past more than the benefit of the investigation. And what (in) seven places, and (how) in one place. All the purposes of the question have come out of their true meaning into many rhetorical meanings and connotations in a challenging or different context. The researcher is recommended to study the method of questioning and its importance in pilgrims and persuasion, and study the stylistic characteristics of the short wall joint.

key words:

Interrogative questionnaires - pictures of the language - the Koran.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصبحه أجمعين، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب في أعلى بلاغتها، معجزاً بلفظه ومعناه، واساليبه ومبناه. ولما كان النص القرآني أبلغ النصوص على الإطلاق، وأوثقها مصدراً وأعلاها منزلة يأتي هذا البحث لدراسة (أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار المفصل). ولما كان أسلوب الاستفهام من أساليب العربية التي تستثير الفكرة وتوقظ الوجدان، وقد كُثر هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وقد ورد في أكثر من مائتين وألف موضعاً (١٢٦٠موضعاً). فقد استخدم هذا الأسلوب على حقيقته في مواضع من النص القرآني وفي أخري جاء لدلالات بلاغية اقتضاها السياق القرآني، وأحوال المخاطبين وهي الأكثر. وقد فاق بها القرآن الكريم الأغراض البلاغية في المنثور والمنظوم عند العرب.

منهج البحث: اتخذت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي متتبعة مواطن الاستفهام، وملتزمة حدود البحث التي تبدأ بسورة الضحى وتتختم بسورة الناس على أرجح الآراء .

مبيناً أغراض ودلالات الاستفهام البلاغية في تلك السور من قصار المفصل، مع مراعاة الحال ومناسبة التفسير وقرائن الأحوال. مشيراً لبلاغة الاستفهام وأهميته في النص القرآني، معتمداً ما صح من التفسير وما ذهب إليه جمهورهم.

وقد افادت الباحثة من كتب التفسير وهي المصادر الأساسية للبحث وكتب البلاغة واللغة وهي مصادر ثانوية، من أجل إدراك دلالة أسلوب الاستفهام وإظهار قيمته البلاغية في قصار سور المفصل عوناً لفهم

كتاب الله العزيز وسعياً لإدراك جوانب من مظاهر الإعجاز البلاغي في أسلوب الاستفهام في تلك السور القرآنية، ملتزمةً في الدراسة والتحليل ترتيب

التلاوة لا النزول، ومستعرضاً أراء المفسرين من البلاغيين واللغويين، محاولاً اظهار قيمة أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في حدود الدراسة.

وتأتي أهمية هذا البحث في جوانب منها: –

أولاً: ربط المباحث اللغوية بكتاب العزيز عوناً لفهمه ولفت أنظار الباحثين في اللغة إلى أهمية الارتباط بكتاب الله العزيز في البحث اللغوي.

ثانياً: اظهار قيمة أسلوب الاستفهام البلاغية عند أهميته عند العرب.

ثالثاً: إظهار بعض ما انفرد به هذا الأسلوب من خصائص في قصار سور القرآن على وجازتها.

وقد قُسم هذا البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: منزلة أسلوب الاستفهام بين أساليب العربية.

المبحث الثالث: التعريف بسور المفصل وأقسامه.

المبحث الرابع: دراسة دلالات الاستفهام البلاغية في قصار المفصل.

أما الدراسات السابقة: هناك عدد من البحوث والرسائل العلمية في موضوع الاستفهام، غير أن الباحثة لم تجد في – حدود اطلاعه – دراسة تبين أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار المفصل.

الخاتمة: وضمنتها نتائج البحث وتوصياته، ثم أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يوفقنا للسداد في القول والعمل إنه خير مسؤول وأجود معطى.

المبحث الأول

الاستفهام لغةً واصطلاحاً

والباحث في معنى الاستفهام يجد أنه مبثوث في ثنايا معاجم اللغة وكتب النحو والبلاغة وأن مادته اللغوية مأخوذة من الفهم، يقال:(فهمت الشيء بمعنى علمته)(١). واستفهمته: سألته أن يفهِّمني. والهمزة والسين والتاء فيها تفيد معنى الطلب)(٢) . والمطلوب هنا هو الفهم. الاستفهام لغة: من قولنا فَهِم يفهمُ فهماً، وأمر مفهوم، وقد أورد ابن منظور معنى الاستفهام في قوله: '' الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهت الشيء عقلته و عرفته , وفهمت فلاناً وأفهمته و تفهم الكلام : فهمه شيئاً بعد شيء , واستفهمته : سأله أن يفهمه ، وقد وستفهمني الشيء ، فأفهمته وفهمَّه تفهيماً ،،(٣)

ويقول ابن هشام : (الاستفهام : طلب الفهم) (٤)

يساوى ابن فارس بين الاستفهام والاستخبار , فالاستخبار عنده :'' طلب خبر ما ليس عند المستخْبِر , وهو الاستفهام)(٥)

غير أن الباحثة تجد أن أبن فارس أرْدَف مبيناً أن هناك من يفرق بينهما، فقال: '' وذكر ناس أن بين الاستخبار و الاستفهام أدنى فرق، فقالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار ،لأنك تستخبر فتُجاب بشيء فربما فهمته , وربما

(١) – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٠م، وطبعة دار المعارف، مادة فهم.

(٢) – الدسوقي – محمد بن عرفة ، حاشية الدسوقي (شروح التلخيص)، ج٢، ص ٢٤٦.

(٣) – ابن منظور لسان العرب مادة فهم.

(٤) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محي الدين عبد الحميد , ١٩٨٧م، المكتبة العصرية، بيروت، ج ١ ص ١٣.

(٥)– ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، العدد :٩٩ يوليو ٢٠٠٣م، ص ٢٩٢.

لم تفهمه , فأذا سألت ثانيةً , فأنت مستفهمُ, تقول : افهمني ما قلت لي , قالوا : والدليل على ذلك أن – جلَّ ثناؤه – يوصف بالخُبْر ولأتوصف بالفهم ,,[١] .

وواضح أنَّ من فرق بينهما يَقصر معنى الاستفهام على طلب عِلْم مالا يعلمه المستفهم عن شيءٍ في كلام مثار , وأن الاستخبار طلب العلم ابتداءً'' فاستخبر : سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ... , واستخبر أذا سأل عن الاخبار ليعرقها ,,[٢] .

وهذا ما فهمه السيوطي – رحمه الله – من كلام ابن فارس إذا قال : '' الاستفهام هو طلب الفهم , وهو بمعنى الاستخبار , وقيل الاستخبار ما سبق أولاً , ولم يُفهم حق الفهم , واذا سألت عنه ثانياً : كان استفهاماً ،،[٣] .

ولكن السائل في الحالين استفهم عمَّا لا يعلم , فبهذا يكون الاستفهام أوسع مفهوماً من الاستخبار , وخاصة أن مصطلح الاستخبار قد انصرف عن مفهومه حديثاً ليدل على عمل خاص من جهة مخصوصة لأغراض معلوماتية .كما أن هناك فارقاً بين الاستخبار و الاستفهام من ناحية اللفظ , فالاستفهام يكون بأدوات مخصوصة هي : الهمزة , وهل ,وما , ومَن , وكم , وكيف , وأين , وأنى , ومتى , و أيَّان , وأي , فأذا طُلب عِلْمَ ما لا يُعِلم بهذه الأدوات فهو استفهام , و إذا طُلب عِلْمَ ما لا يُعلم بغيرها من الصيغ مثل صيغة الأمر , نحو : ''اعَلمني ما الخبر,, فهو : استخبار . ولكن من

(١) – ابن فارس، الصاحبي، ص ٢٩٢

(٢) – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٠م، وطبعة دار المعارف مادة (خبر)، ج ٣ ص ٢٤٢.

(٣) – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، طبعة المكتبة الثقافية، بيروت , ١٩٧٣م ج ٢ , ص ٧٩

الضرورة الإشارة هنا إلى أن ليس كل استفهام يجب أن يكون طلباً للفهم , وليس كل طلب للفهم استفهاماً،،[١] .

ومما يؤيد هذا الرأي أن الاستفهام ليس في عمومه، أنه يطلب به علم ما ليس معلوماً للسائل، لإن الاستفهام قد يُوجه المستفهم لديه علم بما يستفهم عنه، فيخرج أسلوب الاستفهام عن معناه الظاهر، ليدخل في الحال أو السياق، وهذا يعنى أن أسلوب الاستفهام قد يخرج من معناه الظاهر ليدخل في الحال، لا العكس لان خروج الاستفهام عن الحال خروج عن البلاغة.

و نلحظ أن الاستفهام أسلوب متعدد الأغراض البلاغية في سياقاته المختلفة , وثراء أسلوب الاستفهام أمراً مقرراً , وهذا ما فطن إليه السيوطي في قوله : '' ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة ،،[٢] .

ولذا كان ابن فارس فطناً بليغاً حين كان يذكر مع كل معنى من المعاني الاستفهام ,, أنه في الأصل استخبارُ , وقد يكون بمعنى ، كقوله : '' ويكون استخباراً ,و المعنى تقريرُ ،،[٣] نحو قوله جل ثناؤه:

(أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) [الأعراف :١٧٣].

عرّف الجرجاني الاستفهام بقوله: '' استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن , فإن كانت تلك الصورة وقوع

(١) – حسني عبد الجليل يوسف، أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي: التركيب والموقف والدّلالة، دراسة نحوية وبلاغية لأساليب الاستفهام في ضوء الموقف الشعري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٠م، ص٥

(٢) – السيوطي – الإتقان– ج٢,ص٨١

(٣) – ابن فارس الصاحبي ٢٩٣

نِسْبة بين الشيئين أو لا وقوعها , فحصولها هو التصديق , إلا فهو التصور،،[١] .

والاستفهام في الاصطلاح يعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، ‘إلا فهو التصور) [٢].

(يدور حول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة كالهمزة وغيرها’’)[٣].

أي هو طلب الفهم ’’طلب فهم شيء لم يتقدّم لك علم به؛ بأداة من إحدى أدواته)[٤].

وأدوات الاستفهام محصورة، ومعانيها مدروسة في كتب النحو والبلاغة قديما وحديثا)[٥].

ولما كان الهدف من البحث اظهار دلالة الاستفهام البلاغية، وليس دراسة استخدامات أدواته، فالباحثة ترى أنه لا حاجة لدراسة تلك الأدوات أو بيان وظائفها الأسلوبية.

ولئن كان مدلول الاستفهام في الأصل هو: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً وقت الطلب بأداة خاصة، فقد يخرج عن هذه الدلالة الأصلية إلى دلالات

(١) – الجرجاني، الشريف الجرجاني، التعريفات، مصطفي، الحلبي وشركاه مصر ١٩٣٨م.ص١٨

(٢) – الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م.ص١٨.

(٣) – الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت. ج ٢ ، ص ٦٧

(٤) –عبد العزيز عتيق، علوم البلاغة، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٦٧.

(٥) –السكاكي، محمد بن يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠ م. ص ٣٠٨–٣١٧.

أخرى يقصدها المتكلم البليغ. والكيّس الفطن هو الذي يتأتى له مراعاة الاعتبارات الدقيقة، وإفادة اللطائف الطريفة، فيخبّئ من وراء السؤال عن حقيقة أمر أو عمل مقاصد أخرى لا يتعذّر على من يعرف خبايا الكلام وأفانينه أن يضع يده عليها. ومقاصد المتكلم الفرعية يستنبطها الحاذق ممّا يناسب المقام بحسب معونة القرائن فيحمل الاستفهام عليه، وقد فطن القدماء إلى هذه المعاني الخبيئة المتولدة عن الاستفهام فتكلّم عبد القاهر الجرجاني عن الاستفهام الإنكاري، وأفاض في الحديث عن بلاغته حيث يقول: ''واعلم أنّنا وإن كنّا نفسّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى أنّه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجلَ ويرتدع ويعي بالجواب، إما لأنه ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: {فافعل} فيفضحه ذلك، وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله فإذا ثبت على تجوزيه وُبِّخ على تعنّته وقيل له: فأرناه في موضع وفي حال، وأقم شاهدا على أنّه كان في وقت'' [1] .

وفي هذا إشارة من قبل عبد القاهر الجرجاني لمعاني الاستفهام البلاغية أو لخروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معاني تفهم من السياق وقرائن الأحوال.

ثمّ جاء محمد بن يعقوب السكاكي وفصّل في هذه المعاني الفرعية أكثر، فذكر فيما ذكر العرض، والإنكار، والزجر، والتوبيخ، والوعيد، والاستبطاء، والتخصيص، والتعجب، والتعجيب، والتقرير، وساق على كلّ منها أمثلة)[2] .

(١) – الجرجاني ، دلائل الاعجاز، ص٩٣-٩٤

(٢) – السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣٠٥.

وقد ارتضى الخطيب هذا المنهج، فاتّبع السكاكي في الاعتناء بهذه المعاني الفرعية، وزاد على ما أورده سلفه ودعم هذه المعاني بشواهد من الكلام الفصيح)[١].

وقد حاول بعض المعاصرين أن يجاري القدماء في ذلك فأوصل معاني الاستفهام إلى اثنين وثلاثين معنى)[٢]. وقد تكون أكثر من ذلك لأن الاستفهام أسلوب تتجدد أغراضه بتجدد أغراض الناس ، ,أحوال المخاطبين به.

وإذا تأمّلنا نصوصاً كثيرة وجدنا أنّ معاني عديدة تتجاذبه وتتزاحم فيه تزاحم الإنكار والتوبيخ والعتاب والتعجب على معنى قوله تعالي: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا). [العنكبوت :٢]

(فقولنا مثلا إن هذا الاستفهام يفيد التقرير قول ناقص في كثير من الصور، لأنّ ما في هذا الاستفهام شيء يختلف عن محض التقرير وإن أفاده، وإلاّ كانت هي طريق أدائه)[٣].

وقال أيضا: ''إنّ ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدقّ من أن نحدّده تحديدا تامّا، وأن المعاني التي يشير إليها خفيّة وهاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، وهذا ليس بعيدا عن طبيعة اللغة إذ إنها مهما تروّى المتكلم في كلماتها وراجع الاختيار وصقّل العبارة فلن تكون هذه العبارة مبيّنة إبانة كاملة عمّا أراد أن يبين عنه بها، وخاصة في المواقف الحية التي هي بين أعيننا ونحن نتكلّم هذا الكلام'' [٤].

(١) – الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ج٢، ص ٤٤–٥١.

(٢) – الميداني، عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ج١ ص ٢٧١– ٣٠٣.

(٣) – أبو موسى، دلالات التراكيب ص٢١٧

(٤) – أبو موسى، دلالات التراكيب، ص ٢١٨

وفي رأى الباحثة أن أداة الاستفهام لا تترك ظلالاً ولا تشيع دلالات ‘إيحائية بل أن الشأن في أحوال المخاطبين وسياق الكلام وغرض المتكلم من كلامه وهدفه من رسالته.

وإذا كانت هذه هي طبيعة الكلمات في الانفلات عن صاحبها المتكلم بها فكيف بالسامع!؟ وإذا كانت الألفاظ قد لا تؤدّي غرض المتكلّم أداء يجسّد عما يكمن في صدره فأنّي للمتلقي الذي هو عنها غريب أن يقول بملء فيه أنّ غرض المتكلّم من هذا الكلام كذا وكذا!؟ إنّ الحقيقة هي أن المعاني أكبر من الكلمات، ولا يرتاب في هذا من يعرف طبيعة اللغة ويسبر أغوارها.

ومن المعاني المتفرعة عن الاستفهام التشويق، فهو أسلوب يستعان به في شدّ المتلقي إلى المعنى وتهيئته لتلقّيه، حيث إن الاستفهام عادة ما يثير النفس ويحرّك المشاعر ويدعو العقل إلى التفكير في الجواب ولذا، يصار إلى الاستفهام التشويقي حينما يعمد المتكلّم إلى التنبيه إلى فحوى خطابه ويلفت متلقيه، فيستميل به قلوب السامعين، فيتنبهون إلى الأهمية المتعلقة بمّا شوّقوا إليه، إن كان أمرا فيطيعون، وإن كان نهيا فيرتدعون وينزجرون، وإن كان عبرة فيتّعظون، وإن كان خبرا فيصدّقون. وقد نصّ السيوطي على أن الاستفهام يفيد التشويق، وذلك في (شرح عقود الجمان) [1]حيث عزا إلى شمس الدين ابن الصائغ * تصريحه بإفادة الاستفهام التشويق، وقد جعل فيه التشويق مرادفا لاستفهام الترغيب، وأورد عليه قوله تعالى : (**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) .[البقرة ٢٤٥]،

وقوله عزّ من قائل: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**) [الصف :١٠]. وإذا تبيّن الأثر الإيجابي الذي يؤدّيه أسلوب الاستفهام التشويقي في الكلام كان من الطبيعي أن يرد في الحديث الشريف كثيرا، لما

(١) – ابن أبي الصائغ، شرح عقود الجمان، ج ١، ص١٨٩.

* شمس الدين بن أبي الصائغ ...

في هذا الضرب من الاستفهام من الحوار وإشراك المتلقي. فأسلوب الحوار محبّب إلى النفس، فهو يضفي الحيوية على النص الأدبي الجميل، ويدفع الملل والشرود، ويشد انتباه السامع، ويستميل القلوب إلى الكلام المقول، ويجعل الإصغاء لمتابعة النص أتمّ وأكمل، ويصيّر الذهن أكثر تفتّحا وتجاوبا. وكان لهم حديث جيّد عن حقيقته، وشهدوا أنّ ''للحوار أثراً بالغاً في نفس السامع أو القارئ الذي يتتبع الموضوع بشغف واهتمام''[١] .وقرّروا أن فيه ''إغراء القارئ والسامع بقصد معرفة النتيجة''[٢] .

وأن من مزاياه ''إيقاظ العواطف والانفعالات مما يساعد على ترتيبها، وتوجيهها نحو المثل الأعلى، كما يساعد على تأصل الفكرة في النفس وعمقها''[٣]

إنّ شأن الحوار الجليل ملموس في حياتنا العملية في مجالس الناس، فالمتحدّث الناجح لا يرتضي لنفسه أن يكون هو المتحدث الوحيد، بل تراه حريصا على أن يشرك معه الحاضرين، ويستشير اهتمامهم ليكون حديثه بذلك مسموعا ومقبولاً.

ولهذا يأتي هذا البحث ليقف على أسلوب الاستفهام في قصار المفصل من القرآن الكريم ودلالاته البلاغية وذلك لإظهار بعض ما انفرد به هذا الأسلوب من خصائص في قصار سور القرآن على وجازتها، وما في هذا الأسلوب من دلالات بلاغية حارت فيها الأفكار وفاضت منها الأسرار. والاستفهام يستثير في العرب آلة التفكير لتدبروا بها أمرهم، فإما أن يستجيبوا لنداء الحق، وإما أن يعرضوا ويتمادوا في غيهم.

❁❁❁❁❁

(١) – النحلاوي، عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأصولها، ص ٢٠٦

(٢) – المرجع السابق، ص ٢٠٦

(٣)– المرجع السابق، ص ٢٠٦

المبحث الثاني

أهمية أسلوب الاستفهام

و لما كان اسلوب الاستفهام عاملاً مهماً في الحوار و المناقشة، وشكل من أشكال التواصل اللغوي الجيد، ولما في الاستفهام من تفسيرات تبين المبهم، وإيحاءات بمعلومات غائبة وقت الخطاب وتظهر أهمية الاستفهام من أنه كان أنسب الاساليب للاستهلال في أبلغ نص على الإطلاق وهو القرآن الكريم، وقد استهلت به ست سور منه وهي: الإنسان عند قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)، [الإنسان :١]، و قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) [النبأ: ١]

وقوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) ،[الغاشية : ١]

وقوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [الشرح: ١]

وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) ، [الفيل : ١]

وبراعة الاستهلال من بلاغة الكلام عند أهل البيان وحسن الابتداء: وهو أن يتأنق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، بمعني يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله. ومن هنا تظهر أهمية أسلوب الاستفهام من حيث استلهت به ست سور من القرآن الكريم وجمعها من المفصل وأكثرها من قصاره مما يَوحي بأن أسلوب الاستفهام يناسب التفصيل والبيان ويستخدم للحجاج التداولي والإقناع.

ولما كانت بلاغة القرآن الكريم قد حارت فيها الألباب وتقطعت دونها الأسباب وأعجز القرآن الكريم كل لسانٍ وأبان، فقد جاءت أساليبه غاية في الإجادة والإحسان، مع خصائص تميزها عن سائر كلام البشر.

(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) [الطور: ٢٤]

ومعاني القرآن الكريم مصوغة بإحكام بديع في اساليب بليغة تصلح لمخاطبة الناس في كل زمان ومكان على اختلاف بيئاتهم وثقافتهم واعتقاداتهم، كما أن

أساليبه محكمة الدلالة أيما إحكام، ومتعددة الأغراض لتعدد أحوال المخاطبين بها. والاستفهام أسلوب معتمد في أساليب العرب وطرائق كلامهم، ورد في المنثور والمنظوم من كلامهم، وورد في أحاديث النبي الخاتم صلي الله عليه وسلم، وفوق ذلك كله ورد في الذكر الحكيم، واستهلت به سور من القرآن الكريم.

فقد استُهلت به سور الإنسان، والنبأ، والغاشية، الشرح، والفيل، والماعون. و الباحث في أسلوب الاستفهام القرآني يجد أنه ينقسم إلى قسمين أولاهما: أساليب حكاها القرآن الكريم عن البشر فمنها حقيقي كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨]. ومنها الاستفهام الذى يخرج لمعاني بلاغية منها قوله تعالى:﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾. [القيامة: ١٠]. وقد خرج الاستفهام إلى التمني.

ثانيهما: أساليب استفهامية يخاطب الله – سبحانه وتعالى – فيها مخلوقاته، وهذا لا يكون حقيقاً.

ومن الاستفهام قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤] وقد خرج أسلوب الاستفهام إلى التعجب والإنكار[١] .

والباحث في أسلوب الاستفهام يجد كثرة استخدام العرب له في المنظوم والمنثور وعنايتهم به فائقة، فقد افتتحت به جياد اشعارهم ومن ذلك بعض المعلقات مثل معلقة عنترة بن شداد التي استهلها بقوله:

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم [٢]

ومعلقة زهير بن أبي سلمى والتي استهلها بقوله:

---

(١) – عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، أعرابه، عبد الكريم يوسف. ط١–١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م الناشر، المؤلف، طبع في مطبعة الشام، توزيع مكتبة الغزالي، ص ١٧٠.

(٢) – عنترة، عنترة بن شداد، ديوان عنترة، ص

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ (١)

وبما أن العرب قد عرفت ما للاستهلال من أهمية فقد اختارت له أساليب خاصة مثل الاستفهام حتى تحقيق البراعة، والتوسع في معانيها، ودلالات كلامها وجذب ذهن المتلقي للخاطب، ولما في الاستفهام من إيجاز واقتصاد لبنية الخطاب.

مما هو ملاحظ في الخطابة أو الكتابة حرص الأدباء والشعراء على حسن المطلع في كلامهم، سواء كان شعراً أو نثراً، لا نه أول ما يقرع السمع، وتعرف هذه العادة الأسلوبية عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، فإن كانت حسنة بليغة أقبل السامع على الكلام ومن ثمَّ وعاه ' وإلا أعرض عنه، ولو كان ما بعده في غاية الحسن. والمتأمل في فواتح سور القرآن الكريم، يجد أنها من أكمل الفواتح بلاغة، وأحسنها موافقة للحال، مع معانٍ بديعة وأسرار عجيبة.

وقد نال أسلوب الاستفهام شرف افتتاح بعض سور القرآن الكريم به، وذلك في ست سور قرآنية، وهن: الإنسان، النبأ، الغاشية، الشرح، الفيل والماعون. ونلاحظ أن جميعها من المفصل، ونصفها من قصاره. وأن الذي من القصار أداته المطردة هي الهمزة. وهذا يوحي بسر بياني عجيب متعلق بالاستفهام مع قصار المفصل واستخدام أداة الاستفهام الهمزة فقط.

ولهذا ولغيره أرادت الباحثة أن تقف على الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار سور المفصل من القرآن الكريم، وتتبع الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

❁❁❁❁❁

(١) – زهير، زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير، ص

المبحث الثالث

التعريف بسور المفصل وأقسامه

إن سور القرآن الكريم عند علماء التفسير على أربعة أقسام هي الطِول , والمئون , و المثاني , و المفصل , وقد جاء ذلك في حديث مرفوع عن النبي ﷺ قال فيه : (أعطيت السبع الطول ، مكان التوراة ،و أعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفُضلتُ بالمفصل)[١] .

ولما كان المُفصل هو موطن البحث والدراسة كان لابد للباحثة إن يقف عند تعريفه، وعدد سوره وآراء العلماء في سبب تسميته، وما هو أوله؟

والمفصل هو: مجموعة السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأه من سورة (ق) – على الأرجح – وتنتهي بسورة الناس، فهو يمثل السبع السابع من القرآن الكريم).

وقد اختلف العلماء في أوله فقيل: من أول سورة (ق)، وقيل من أول (الحجرات)، وقيل من أول (القتال). وذكر الزركشي و السيوطي اثني عشر قولاً في ذلك ([٢]).

ويسمى بالمُحْكم أيضاً , كما روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : (إن الذي تدعونه المُفَصَّل هو المُحْكم)[٣].

وفي سبب تسميته بالمفصل للعلماء أربعة أقوال

الأول: ولفصل بعضه عن بعض (بالفاصلة القرآنية).

الثاني: لكثرة الفصل بين آياته بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الثالث: لإحكامه.

---

(١) – ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج٤ , ص ١٤٩.

(٢) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١ , ص ٢٤٥ – ٢٤٦ , السيوطي، الإتقان ج١ , ص٦٢.

(٣) – المصدر السابق، ج ١ , ص ٢٥٣.

الرابع: لقلة المنسوخ فيه. وبعد هذا العرض لمنزلة ومفهوم المفصل في الذكر الحكيم، وبيان سوره وعددها وأراء العلماء، كان لابد للباحث أن يقف عند دلالة الاستفهام في كل آية من سوره لسبر أغوار المعاني والدلالات الثرية التي يؤديها الاستفهام القرآني ولإظهار المعاني المتعددة في الاستفهام القرآني في الآية الواحدة لاختلاف وجهة تأويل أو تفسير النص القرآني.

المبحث الرابع

دراسة دلالات الاستفهام البلاغية في قصار المفصل

إن الباحث في أسلوب الاستفهام يجد أنه تميز بكثير من الخصائص التعبيرية , ليحقق جملة الأغراض المتصلة بالخَطاب , و المُخَاطب, وشكل الخَطاب ودلالاته البلاغية , و لإن اسلوب الاستفهام يختلف باختلاف الخطاب ونصه ,ولأن آيات الذكر الحكيم جاءت متباينة التراكيب و السياق , مُتعددة الاساليب, فقد جاء اسلوب الاستفهام القرآني على قمة البلاغة وذلك لمّا في هذا الاسلوب من إيجاز و اقتصاد لبنية الخطاب , لما فيه من حركة ونشاط بسبب حضور الخطاب , وقد تنوع هذا الأسلوب في قصار المفصل وتنوعت أدواته, وتنوعت أغراضه البلاغية لتنوع السياق القرآني حسب حال المخاطبين به

ومنه قوله تعالى: **(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)**. [الضحى :٦]. أورد الشوكاني في تفسيرها : (هذا شروع في تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم : أي وجدك يتيماً لا أب لك فأوى : أي جعل لك مأوى تأوي إليه ... و الهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه , فكأنه قال : قد وجدك يتيماً فآوى , و الوجود بمعنى العلم) [(١)] . ويتضح من تفسير الشوكاني أن الاستفهام في تلك الآية الكريمة قد خرج من معناها الحقيقي لدلالة السياق والحال عليه، والغرض منه التقرير، ويُعرف هذا النوع من الاستفهام المجازي بالاستفهام التقريري. و أداة الاستفهام الهمزة في (ألم): دلت على الاستفهام التقريري , وهو استفهام مجازي التفت إليه الأقدمون في كتبه , وعرفته العرب في كلامها , وقد تحدث عنه سيبويه في كتابه , وذكر الاستفهام التوبيخي , والاستفهام الذى للتعجب [(٢)] , كما تحدث عنه ابن جني إذ يقول : (أن المُستفهم عن

(١) – الشوكاني، محمد بن على بن محمد الشوكاني، دار المعرفة بيروت، ج٥ , ص ٤٥٨.

(٢) – سيبويه، الكتاب، تحقيق أ. د. محمد كاظم البكاء، ط١ ٢٠٠٤م,، دار البشير عمان , ج١ ص٤٧٧.

الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه , لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء ...)[1] . وهذا يعني أن الأقدمون قد تنبهوا لأغراض الاستفهام المجازي، وأشاروا لبعض منها، ولأنها تحدد بقرائن الأحوال وحسب سياق النص. والباحث يجد أن للهمزة الاستفهامية – وهي حرف مبنى لا محل لها من الإعراب – خصائص أسلوبية تميزت بها دون أدوات الاستفهام الأخرى، وقد كثر استخدامها في آي قصار المفصل. ومن ذلك قوله تعالى: **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)**. [الشرح: ١]، وفسّر القرطبي: (شرح الصدر: فتحه، أي ألم نفتح صدرك للإسلام ... ومعنى (ألم نشرح) قد شرحنا، والدليل على ذلك قوله في النسق عليه: **(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)** [الشرح :٢]، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل، ولوكان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك. فدل هذا على أن معنى (ألم نشرح) : قد شرحنا) [2].

ولعل الغرض من الاستفهام المجازي هو التحقيق بدليل (قد)، التي هي حرف تحقيق بدليل دخولها على الماضي، ومثله في دلالة الاستفهام المجازي على التقرير أو التحقيق قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان: –

ألستم خير من ركب المطايا ... و أندى العالمين بطونَ راحِ [3]

والمعني: أنتم كذا، أي أنتم أكرم الأنس والجن، وفيه توسع، اخراج للاستفهام عن حقيقته لمعانِ التحقيق والتقرير والتوكيد.

---

(١) – ابن جني، ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط٢ , مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج٢ ص ٤٦٤.

(٢) – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، ط٥ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ج ١٩ , ص٩٦–٩٧.

(٣) – جرير، أبوحرزة جرير بن عطية الخطفي التميمي، ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص.

(ألم): الهمزة للاستفهام التقريري حرف لا محل له من الإعراب. وقد خرجت أداة الاستفهام عن استخدامها الحقيقي تجوزاً. وتلاحظ الباحثة استهلال سورة الشرح بالاستفهام التقريري، ولبراعة الاستهلال شأن عظيم عند أهل البلاغة.....

وجاء الاستفهام في خواتيم سورة التين في موضعين فالأول خطاب للكافر عند قوله تعالى: **(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ)**، [سورة التين :٧]. فسّره القرطبي بقوله: (قيل الخطاب للكافر، توبيخاً وإلزاماً للحجة. أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، يردّك إلى أرذل العمر، وينقلك من حال إلى حال، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء، وقد أخبرك محمد ﷺ به... والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين. و اختاره الطبري) [(١)]. وعلى التفسير الأول، فأن الاستفهام مجازي والغرض منه التوبيخ وإلزام الحجة للكافر أو المنكر. وعلى التفسير الثاني، يكون الغرض من الاستفهام المجازي إنكار كذب من يكذب بعد هذا البيان، على قدرة الله في خلق الإنسان والدين والجزاء. وإعراب (ما): اسم للاستفهام الإنكاري في محل رفع مبتدأ. ويستمر هذا البيان الإلهي لتوبيخ المُنكر في قوله تعالى :**(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)**[(٢)] [التين :٨]. و يعلق ابن عطية على هذه الآية مفسّراً بقوله : (ثم وقف تعالى جميع خلقه على أنه سبحانه أحكم الحاكمين , على جهة التقرير , ورُوى عن قتادة أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه السورة قال : بلَى , و أنا على ذلكم من الشاهدين)[(٣)].

---

(١) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩ , ص ١٠٨.

(٢) – سورة التين – الآية: ٨

(٣) – ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق و تعليق السيد عبد العال السيد إبراهيم – مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية بدولة قطر، ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩١م , ج١٥ , ص ٥٠٦ .

ويقول القرطبي مبيناً نوع الاستفهام ودلالته البلاغية في الآية الكريمة : (و ألف الاستفهام إذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار إيجاباً , ...)[1] . وهذا يعني أن الاستفهام قد خرج من معناه الحقيقي إلى معنى يُفهم من السياق وقرائن الأحوال ' فالاستفهام تقريري، أي أن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين قضاءاً بالحق، وعدلاً بين الخلق. وأليس: اسم للاستفهام التقريري لا محل له من الأعراب.

وفي سورة العلق تجد الباحثة توالى الاستفهام في نسق عجيب، وتكثيف دلالي رهيب، تقشعر منه الأبدان، وتحير فيه الأذهان، بأداة واحدة وهي الهمزة، يليها الفعل. في قوله تعالى: **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى)**، [العلق :٩].

وأورد الشوكاني في تفسير آيات سورة أقرأ سالفة الذكر: (قال المفسرون: الذي يُنهى أبو جهل، والمراد بالعبد محمد صلي الله عليه وآلة وسلم، وفيه تقبيحه لصنعه وتشنيع لفعله حتى كأنه بحيث يراه كل ما تتأتى منه الرؤية، ومنه قوله: **(أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ)**، [العلق: ١١] يعنى العبد المنهى أذا صلى، وهو محمد صلى الله عليه آله وسلم (أو أمر بالتقوى) أي الإخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذي تتقى به النار.

ومنه قوله تعالى: **(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ)** العلق: ١٤) يعنى أبا جهل، كذب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وتولى عن الإيمان، وقوله (أرأيت) في الثلاثة المواضع بمعنى أخبرني لأن الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرئي أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها، والخطاب لكل من يصلح له. وقد ذكر هنا أرأيت ثلاث مرات , وصرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية فتكون في موضع المفعول الثاني لها , ومفعولها الأول محذوف , وهو ضمير يعود على الذى ينهى الواقع مفعولاً أوّل لا رأيت الأولى , ومفعول أرأيت الأولى الثاني محذوف , وهو جملة استفهامية كالجملة

(١) – القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩ , ص ١٠٨.

الواقعة بعد أرأيت الثانية , أما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا أوّل ولا ثان , حذف الأوّل لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من الأولى , والأول من الثالثة , والأثنان من الثانية , وليس طلب كل من رأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع لأنه يستدعي إضمار , و الجمل لا تضمر , أنما تضمر المفردات , و أما ذلك من باب الحذف للدلالة , و إنما جواب الشرط المذكور مع أرأيت في الموضعين الآخرين . فهو محذوف تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى (ألم يعلم بأن الله يرى) إنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني، ومعنى (ألم يعلم بأن الله يرى) أي يطلع على أحواله، فيجازيه بها، فكيف أجترأ على ما أجترأ عليه؟ والاستفهام للتقريع والتوبيخ، وقيل أرأين الأولى مفعولها الأوّل الموصول، ومفعولها الثاني الشرطية. **(عَبْدًا إِذَا صَلَّ)** ،[العلق: ١٠]

أولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالمذكور , و أرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد , وقيل أن كل واحدة من أرأيت بدل من الأولى , و (ألم يعلم بأن الله يرى) الخبر)[١].

ونلاحظ أن ما ذهب إليه بعض المفسرين هو أن الاستفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معنى التوبيخ والتقرير، وقد يكون الاستفهام للتقرير التعجبي بدليل السياق وقرائن الأحوال. وإن ما ذهب إليه كل مفسر أو بلاغي يؤكد خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي وهو طلب الفهم لإمر لم يك مفهوم وقت الطلب. وهذا يعنى أن الاستفهام في سورة العلق قد خرج في مجمله لأغراض بلاغية تنبه لها المفسرون منها التوبيخ والتقريع والتقرير والتعجب وغيرها. أرأيت: الهمزة للاستفهام التقريري التعجبي لا محل لها من الأعراب.

(١) – الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية والتفسير , دار المعرفة , بيرت – لبنان , ج ٥ , ص ٤٦٩.

وفي سورة القدر ورد الاستفهام في موضعٍ واحدٍ , قال تعالى: **(وَمَا أَ دْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)**. قال الفراء:(كل ما في القرآن من قوله تعالى : (و ما أدراك) فقد أدراه , وما (يدريك) في قوله : (وما يُدريك) فلم يُذْرِه)[1]. ما اسم استفهام للتعجب في محل رفع مبتدأ , وقال مجاهد : في ليلة القدر ليلة الحكم , وقيل سميت ليلة القدر لأن الله سبحانه وتعالى يقدّر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة , وقيل سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدراً , عظيماً و ثواباً جزيلاً . وقال الخليل: سميت ليلة القدر , لأن الأرض تضيق بالملائكة ...)[2].

ويفسرّ ابن عطية: قول تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)**، [القدر ٢] عبارة تفخيم لها , ثم أدراه تعالى بعْدُ ...)[3].

ما الثانية: اسم استفهام للتعظيم والتهويل في محل رفع مبتدأ.

وبعد سورة القدر يأتي الاستفهام في الزلزلة وفي موضعٍ واحدٍ عند قوله تعالى: **(وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا)** [الزلزلة :٣].

وأورد ابن عطية: (وقول الإنسان: (مالها) هو قول على التعجب من هول ما يرى).

– ما اسم استفهام للتعجب والإنكار على رأي بعضهم في رفع مبتدأ.

وفي سورة العاديات جاء الاستفهام في موضعٍ واحدٍ عند قوله تعالى: **(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)**.[العاديات :٩] ، ويبن القرطبي المخاطب في قوله تعالى : (فلا يعلمُ) أي ابن آدم)[4]. ويقول ابن عطية: (أفلا يعلمُ) توقيف على المآل والمصير، أي: أفلاَ يعلم مآله ومصيره فيستعد له؟ ... وفي

(١) – القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , ج١٩ , ص ١٢٠.
(٢) – الشوكاني، فتح القدير , م٥ , ص ٤٧١ –٤٧٢ .
(٣) – ابن عطية المحرر الوجيز , ج١٥ , ص٥٢٠ .
(٤) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن , ج ١٩ , ص ١٥١.

هذا وعيدُ مصَرّح)[1]. والشوكاني يبن دلالة الاستفهام في الآية الكريمة فيقول: (الاستفهام للإنكار , والفاء للعطف على مُقدّر يقتضيه المقام: أي يفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم ...)[2] . فنجد أن الاستفهام المجازي احتمل أكثر من دلالة بلاغية أو غرض أفلا: الهمزة للاستفهام التوبيخي لا محل له من الإعراب.

ولكي تدرك الباحثة دلالة الاستفهام البلاغية في كل سورة من قصار المفصل، تتبعه في تلك السور حسب وردها في المصحف، وفي سورة القارعة ورد الاستفهام في موضعين بعد الاستهلال مباشرة في قوله تعالى: **(مَا الْقَارِعَةُ)**، [القارعة: ٢] ومنه قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)**، [القارعة:٣] ما: اسم استفهام للتعظيم والتهويل. وما: للتعظيم.

أورد القرطبي في تفسيرها: (أي القيامة والساعة، كذا قال عامة المفسرين. وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ... قوله تعالى (ما القارعة) استفهام، أي شيء هي القارعة؟ وكذا (و ما أدراك ما القارعة) كلمة استفهام على جهة التعظيم و التفخيم لشأنها ...) [3].

وكذلك ذهب ابن عطية في المحرر الوجيز إلى الاستفهام في قوله تعالى : (و ما أدراكَ) تعظيم لأمرها [4]. ويظهر في التعبير القرآني عن طريق الاستفهام تكثيف دلالي عميق، وإيحاءات متعددة تفوق حد التصور البشري، وخير دليل على ذلك كثرة تحمُل أسلوب الاستفهام المجازي لأكثر من غرض بلاغي فيأتي المفسرون بغرضين أو أكثر في سياق واحد ليحتمل أحوال متباينة، فمثلاً الاستفهام الوراد في القارعة يحتمل التعظيم والتفخيم. وغير ذلك واضحاً في سورة العلق التي حفلت ...

---

(١) – ابن عطية , المحرر الوجيز , ج١٥ , ص٥٥١.

(٢) – الشوكاني، فتح القدير , م٥ ,ص ٤٨٣ .

(٣) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ,ج١٩ , ص١٥٢– ١٥٣ .

(٤) – ابن عطية ، المحرر الوجيز , ج١٥ , ص ٥٥٣ .

وفي سورة التكاثر ظهر خلاف نحوي ودلالي حول نوع الأسلوب، لاختلاف القراءة عند قوله تعالى: **(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)**، [التكاثر :١] – ألهاكم: منهم من جعل الهمزة للاستفهام التوبيخي، ومنهم من جعل الجملة خبرية. وأورد بن عطية في تفسيرها (ألهاكمُ): شغلكم بلذّاته، ومنه (لهو الحديث والأصوات واللهو بالنساء، وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر. وقرأ ابن عباس و أبو عمران الجوني , و أبو صالح : (ألْهاكم) على الاستفهام)[١] . وأي أن كان الأسلوب خبري أو إنشاء طلبي (استفهام) فإن دلالته تحمل معنى تقريع وتوبيخ.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ) [الهمزة :٥]. ويورد القرطبي في تفسيرها: (الحُطمة) الدركة الثانية من درك النار ... اسم من أسماء جهنم. (وما أدراك ما الحطمةُ) على التعظيم لشأنها و التفخيم لأمرها)[٢] . و يعلق الشوكاني على أسلوب الاستفهام في الآية السابقة بقوله: (هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كأنه ليست مما تدركه العقول وتبلغه الأفهام)[٣] الأولى للإنكار والثانية للتهويل والتعظيم . وفي سورة الفيل ورد أسلوب الاستفهام في موضعين، وبه استهلت السورة المباركة بأسلوب الاستفهام المُخبر عن حال من يُريد بحرمات الله شيء قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)** [الفيل :١]. ويقول ابن عطية في تفسير هذا السورة : وهذ السورة تنبيه على اعتبار في أخذ الله عزّ وجلّ لأبرهة ملِك الحبشة ولجيشه حين أم به الكعبة ليهدمها)[٤]. ويقول الشوكاني : (الاستفهام في قوله (ألم تر) لتقرير رؤيته صلى الله عليه آله وسلم وبإنكار عدمها : وقال الفراء : المعنى ألم تُخبر ,وقال الزجاج : ألم تعلم , وهو تعجب له صلي الله عليه و آله وسلم بما فعله الله (بأصحاب

(١) – ابن عطية، المحرر الوجيز ج١٥ , ص ٥٥٦.
(٢) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩ , ص١٧٢.
(٣) – الشوكاني، فتح القدير، م٥ , ٤٩٣.
(٤) – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١٥ , ص ٥٧٠.

الفيل) الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة) [1] ... – الهمزة للاستفهام التقريري التعجبي.

, ومثلها **(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)** [الفيل :٢]. ويقول الشوكاني في تفسيرها : (و الهمزة للتقرير كأنه قيل : قد جعل كيدهم في تضليل , والكيد: هو إرادة المضرة بالغير , لأنهم أردوا أن يكيدوا قريشاً بالقتل والسبي, ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم)[2] كيف استفهام للتوبيخ في محل نصب مفعول مطلق.

قال تعالى: (أرأيْتَ الذي يُكذب بالدّين). [الماعون :١] ويُفسرّ هذه الآية ابن عطية بقوله : (هذا توقيف وتنبيه لتذكر نفسُ السامع كلّ من تعريفه بهذه الصفة ...)[3] .

و يورد الشوكاني قوله مُفسراً أية سورة الماعون: (الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم و أله وسلم أو لكل من يصلح له , والاستفهام لقصد التعجب من حال من يكذب بالدين , والرؤية بمعنى المعرفة , و الدين : الجزاء و الحساب في الآخرة)[4]

(مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [المسد:٢]. – ما: الأولى يمكن تقدرها نافية ويمكن تقدرها استفهامية مفعول مطلق.

قال السيوطي : (قال بعض الأئمة : ما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام , فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل , وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً , وألف في ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتاباً سماه روض الأفهام في أقسام الاستفهام , قال فيه : قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ

(١) – الشوكاني، فتح القدير، م ٥ , ص ٤٩٥.
(٢) – الشوكاني، فتح القدير، م٥ , ص٤٩٥.
(٣) – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١٥ , ٥٧٨.
(٤) – الشوكاني، فتح القدير، م٥ , ص ٤٩٩.

أو أشربته تلك المعاني , ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة خلافاً للصفار , ..)[1].

ولما كان موضوع الدراسة قصار المفصل الذي يبدأ بسورة الضحى ويُختم بسورة الناس، ومجموع سوره اثنان وعشرون سورة. وأن اسلوب الاستفهام قد ورد في اثنتي عشر سورة من قصار مُفَصَّل القرآن الكريم، وهذا يعنى أن هناك عشر سور منه لم يرد فيها اسلوب الاستفهام، وقد حفلت سورة العلق بهذا الاسلوب إذ أنه ورد في أربع مواضع، ثم تليها القارعة في ثلاث مواضع، والفيل في موضعين وبقية السور في موضعٍ واحد ليكون مجموع مواضع الاستفهام في قصار المفصل ثمانية عشر موضعاً منها تسع في ثلاث سور فقط، كما أن هناك موطناً.

ولم يجد الباحث خلاف حول نوع الأسلوب عدا في موطن واحد يعود للقراءة عند قوله تعالى: **(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)**، [التكاثر: ١].. قد أورد الزمخشري في تفسير هذه الآية قوله : (وقرأ ابن عباس [ألهاكم] على الاستفهام الذي معناه التقرير)٦٠.

– الضحى – ٢– الشرح – ٣– التين ٤– العلق ٦– القدر ٧– الزلزلة ٩– العاديات ١٠– القارعة ١١– الهمزة –١٢– الفيل ١٣– الماعون ١٤–

وقد خلت سورة البينة، العصر، الكافرون، الكوثر، قريش، الكافرون، النصر، المسد، الفلق، الاخلاص، الناس.

❁❁❁❁❁

(١) – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢ , ص٢١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، وقد أتم على نعمته أن وفقني لتمام هذا البحث، الذي وقفت به على موضوع أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في قصار المفصل، وقد تبين لي أن أسلوب الاستفهام في هذه السور على وجازتها قد فاق في بلاغته وسعة دلالاته ما أودته العرب في منظوم كلامها ومنثورها، قد خلص البحث لنتائج منها:

أولاً: ورد أسلوب الاستفهام في اثنتي عشر سورة من مجموع سور قصار المفصل البالغ اثنان وعشرون سورة.

ثانياً: ورد الاستفهام في أربعة مواضع من سورة العلق، وفي ثلاث مواضع من سورة القارعة، وفي موضعين من سورة الفيل، وفي موضعٍ واحدٍ في كل من: الضحى والشرح، والتين، والقدر، والزلزلة، والعاديات، والهمزة، والماعون. وقد خلت سور البينة، العصر والكافرون والكوثر وقريش والكافرون والنصر والمسد والفلق والاخلاص والناس.

ثالثاً: ولأهمية أسلوب الاستفهام البلاغية، قد أُستهلت به ست سور من القرآن الكريم ثلاثة منها من قصار المفصل وهي: الشرح والفيل والماعون.

رابعاً: ورد الاستفهام في ثمانية عشر موضعاً من قصار المفصل، ومنها تسع مواضع في ثلاث سور وهي: العلق والقارعة والفيل.

خامساً: ولم يجد الباحث خلاف في وجود أسلوب الاستفهام أو عدمه إلافي موطن واحد يعود للقراءة عند قوله تعالى: [أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]، [التكاثر: ١].

سادساً: أن أدوات الاستفهام دخلت على الجملة الفعلية بفعْليها الماضي والمضارع، إلا أن دخولها على الماضي أكثر، وقد استخدمت ثلاث أدوات فقط من أدوات الاستفهام وهي الهمزة التي وردت في أثني عشرة موضعاً، لما لها من خصائص أسلوبية تميزت بها دون غيرها، و(ما) في سبعة مواضع، و(كيف) في موضعٍ واحدٍ. وقد خرجت كل أغراض الاستفهام من معانيها

الحقيقة إلى معانٍ ودلالات بلاغية كثيرة في سياقٍ متحدٍ أو مختلفٍ، وأكثر الأغراض البلاغية ورداً هو التقرير.

ويظل الباب مفتوحاً من أجل الغوص في أساليب القرآن الكريم وأدراك كنه خصائصها الأسلوبية ودلالاتها الصوتية والتركيبة والبلاغية وغيرها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت ط١ ٢٠٠٠م، وطبعة دار المعارف

٢ – الدسوقي، حاشية الدسوقي (شروح التلخيص،

٣ – الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م.

٤ – عتيق، عبد العزيز عتيق، في علوم البلاغة، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

٥ – السكاكي، محمد بن يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠ م.

٦ – القزويني، الخطيب القزويني (جلال الدين أبو عبد الله)، الايضاح في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م.

٧ – الميداني، عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها

٨ – السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، طبعة المكتبة الثقافية، بيروت , ١٩٧٣م.

٩ – الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير، دار المعرفة، بيرت – لبنان،

١٠ – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، ط٥ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م،

١١– ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تفسير ابن عطية المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق السيد عبد العال السيد إبراهيم – مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ط١ ١٤١٢هـ –١٩٩١م،

١٢- عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، أعرابه، عبد الكريم يوسف. ط١-١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م الناشر، المؤلف، طبع في مطبعة الشام، توزيع مكتبة الغزالي
١٣- النحلاوي، عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأصولها
١٤- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محي الدين عبد الحميد , ١٩٨٧م، المكتبة العصرية، بيروت،
١٥- ابن جني، ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط٢ , مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
١٦- ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، العدد :٩٩ يوليو ٢٠٠٣م
١٧- حسني عبد الجليل يوسف، أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي: التركيب والموقف والدّلالة، دراسة نحوية وبلاغية لأساليب الاستفهام في ضوء الموقف الشعري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٨- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.
١٩- أبو موسى، محمد أحمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٠ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط٤.
٢١- الجرجاني، الشريف الجرجاني، التعريفات، مصطفي، الحلبي وشركاه مصر ١٩٣٨م.
٢٢- الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ت.

٢٤- ابن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى، ديوانه، دار صادر بيروت، د.ت،
٢٥- ابن شداد، عنترة بن شداد، ديوانه .
٢٦- الدسوقي – محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي (شروح التلخيص)،